الأسرة والعنف المدرسي ..حدود المسؤولية ؟!

Family and school violence ..limits of responsibility ?!

نبيل حليلو[1]

بوبكر عصمان[2]

[1]جامعة محمد خيضر بسكرة، nabil.halilou@univ-biskra.dz

[2]جامعة محمد خيضر بسكرة، boubaker.osmane@univ-biskra.dz

ملخص

شهدت ظاهرة العنف المدرسي تطورا كبيرا، ليس فقط في جانب أعمال العنف وأرقام هو إنما في الأساليب التي يستخدمها التلاميذ في تنفيذ سلوكاتهم العنيفة، وهو الشيء الذي يهدد كيان المدرسة وأركانها وينعكس حتما بالسلب على مهامها وأداءها،وبتسليط الضوء على هذه الظاهرة والوقوف على مسبباتها المختلفة من المؤسف أننا نجد أن الأسرة لها موقعا ضمن قائمة أسباب الظاهرة كنتيجة لجملة من الاختلالات التي تعيشها في جوانبها المختلفة.

كلمات مفتاحية: أسرة؛ عنف مدرسي؛ مسؤولية؛ سلوك

Abstract

Ce qui est remarquable et que personne ne peut nier à l'heure actuelle, c'est que le phénomène de la violence à l'école a connu un grand développement, non seulement du côté de la violence et de son nombre, mais également des méthodes utilisées par les élèves pour appliquer un comportement violent, qui menacent l'entité scolaire et ses éléments et ont inévitablement une incidence négative sur ses tâches et son rendement. Et de faire la lumière sur ce phénomène et de prendre en compte les différentes causes de la malheureuse constatation.

Keywords: famille; violence à l'école; responsabilité; comportement

1.مقدمة

إذا سلمنا بمبدأ السببية القائل بأن لكل ظاهرة سبب، فإننا حتما سنسلم بأن لظاهرة العنف المدرسي سبب أومجموع أسباب تقف وراءها وتشكل علة وجودها، وإن كان المناخ العالمي ككل يهيأ شتى المشجعات على العنف بشتى أشكاله و صوره إذ لم يعد عنف الإنسان مقتصرا على بني جلدته، بل امتد عنفه إلى الوسط البيئي الحيواني و النباتي، بل وحتى الجماد لم يسلم من عنفه و لحقها نصيب وافر منه، أقول أن المناخ العالمي السياسي و الاجتماعي و الاقتصادي أصبح مشحونا ببطارية العنف، بل إن عالمنا اليوم يتبنى ويعيش حالة من الردة إلى الثقافة القبلية الجاهلية التي ترفع شعار : "من لم يظلم الناس يُظلم".

ونحن في هذه المداخلة المتواضعة سنحاول البحث في واحدة من الأسباب التي نراها و نعتقد أنها ذات يد في ظاهرة العنف المدرسي، ألا و هي الأسرة ، فنحاول وضعها تحت مجهر التحليل الاجتماعي والنفسي من أجل الإجابة على تساؤل رئيسي يتمحور حول حدود مسؤولية الأسرة في العنف المدرسي و تحليل كيف تكون الأسرة مسببا للعنف المدرسي .

على أن تناولنا للأسرة و علاقتها بالعنف المدرسي، لا يكتفي بتناول الأسرة كقناة تنشئية تضخ القيم و المعايير و العادات السلوكية والكلامية في أذهان الناشئة، أي من موقعها كفاعل ، بل سننقل إلى الزاوية المعاكسة أين تكون الأسرة في موقع المفعول به،بوصفها كيانا في وسط كبير يلقي عليها بظلاله و تأثيراته، لنوسع بذلك مسارات دراسة العنف المدرسي من المسار : تلميذ – وتلميذ – مؤسسة إلى المسار تلميذ – معلم و معلم – تلميذ، لنرى عن كثب كيف تؤثر الحالة الأسرية و الجو الأسري على المعلم و تدفع به إلى تفريغ شحناته العنيفة داخل الحرم المدرسي، لنقدم في الأخير تصورا متواضعا عن الحلول الممكنة لهذه الظاهرة.

2.الإطار المفاهيمي :

تحتوي هذه المداخلة على جملة من المفاهيم التي تشكل في حقيقة الأمر مفاصل و مفاتيح لا بد من معرفتها معرفة دقيقة، ذلك أن بعض هذه المفاهيم تمتاز بنوع من المطاطية إلى حد ما و على الأخص مفهوم العنف، لذلك ارتأينا أن نلزم أنفسنا بضبط هذه المفاهيم ، على الأقل بما يتوافق مع زاوية معالجتنا للظاهرة المدروسة.

1.2 الأسرة

شغل هذا المفهوم مساحة معتبرة، وذلك قياسا إلى أهمية و موقع الأسرة في البناء الاجتماعي ككل، و يمكن أن نعرف الأسرة على أنها تلك البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها مجموعة من الأشخاص يرتبطون معا برابط الزواج أو الدم، و يعيشون تحت سقف واحد، ويتفاعلون معا وفقا لأدوار اجتماعية محددة، ويحافظون على نمط ثقافي عام.

2.2 المدرسة

هي مؤسسة اجتماعية، تربوية، تعليمية، تواصلية، تعمل على إكساب المهارات والخبرات التربوية والمعرفية، ونقل تراث و ثقافة المجتمع إلى جيل الصغار.

3.2 العنف

يتشعب هذا المفهوم تشعبا كبيرا، حتى أنه يتداخل مع مفاهيم أخرى قريبة و مجاورة كالعدوان والإرهاب، فنجد "عبد الرحمان العيسوي" مثلا يرى أن العنف عبارة عن طاقة عدوانية هذه الأخيرة تنمو من الغريزة باستمرار، و بمعدلات ثابتة من النمو و التراكم(العيسوي، 2004، صفحة 68) ويعرفه البعض على أنه استخدام الضغط أو القوة استخداما غير مشروع أو غير مطابق للقانون من شأنه على إرادة فرد ما(زايد، صفحة 182).

بينما يعرف "دوسون" العنف بأنه شعور بالغضب أو العدوانية يتجسد بأفعال دامية جسديا أوبأعمال تستهدف الأخر(شكور، 1997، صفحة 30).

على أننا سنوظف مفهوم العنف بأنه كل تصرف يلحق الأذى النفس أوبالآخرين سواء كان هذا الأذى جسميا أو نفسيا .

1.4 العنف المدرسي

هو كل شكل من أشكال الأذى الجسمي (كالضرب) أو النفسي (كالسخرية، الاستهزاء، الاحتقار، الكلام البذيء...) يقع داخل الحرم المدرسي.

3. أشكال العنف المدرسي

لقد جرت العادة في التصور التقليدي عن العنف المدرسي على أنه الإيذاء أو الضرب فقط، إلا أن الحقيقة هي أن الأشكال العنف المدرسي أوسع من ذلك بكثير، و سنحاول فيما يلي حصر بعض أشكال العنف المدرسي، و ذلك في الآتي:

- الضرب بكل أشكاله (الصفع،اللكم، الاعتداء بآلة...)؛
- المشاجرة بين التلاميذ . أو إلحاق الضرر بالنفس؛
- التغيب المتكرر (المتعمد)؛
- الابتزاز؛
- الكتابة على الجدران؛
- الحرائقالمتعمدة؛
- إحداث الفوضى في القسم بالضحك، الكلام واللعب؛
- الشائعات المغرضة (الجاسوس، وكالة الأخبار...)؛

- الألقاب ذات الطابع العنصري كالأسود، أو المدلل؛
- تخريبو تحطيم أملاك المدرسة؛
- الكلام السفيه؛
- الكذب؛
- السرقة؛
- التدخين واستخدام المخدرات و جميع المواد الضارة؛
- اللامبالاة و الاستهزاء و الاحتقار.

هذه بإيجاز بعض – أقول بعض – مظاهر العنف المدرسي أوردناها معنصرة تجنبا للإطالة، ولو كان المقام يسمح لأفردنا لها مساحة كبيرة و لبينا كيف يكون كل شكل من هذه الأشكال سبيلا إلى آثار كبيرة على المنظومة المدرسية ككل.

4. مسارات العنف المدرسي

يبدو أن العنف المدرسي يخضع بدوره لقانون التغير، إذ لم يعد العنف المدرسي ذلك العنف التقليدي الذي نعرفه من التلميذ نحو التلميذ في شكل شجار أو اعتداء، بل إن مساراته تشعبت تشعبا واضحا فزيادة على المسار التقليدي للعنف النابع من التلميذ، هناك المسار : معلم– تلميذ، أي من المعلم نحو التلميذ، وفي هذه الحالة يكون التلميذ عرضة للعقاب ولا سبيل لدفع الضرر عنه، ذلك أن المعلمين يتخذون من العقاب وسيلة للردع، ويجدون فيه خير منهج في التعليم مستغلين في ذلك ضعف التلميذ.

وهناك مسار آخر من العنف استفحل مؤخرا، و أصبح يشكل لوحده ظاهرة تستحق الدراسة والمتابعة، وهو المسار تلميذ – معلم، أي العنف الواقع من التلميذ على المعلم، وإن كان هذا النوع من العنف يرتبط بالمرحلة العمرية (المراهقة) و ينتشر غالبا في الثانويات، وفيه يصبح التلميذ = هو المعتدي والأستاذ عرضة للاعتداء سواء كان الاعتداء جسديا، لفظيا أو معنويا.

ولو أردنا أن نوجز مسارات العنف، فإننا نوضحها في العلاقات التالية، على أن الأول في العلاقة يمثل المعتدي و الثاني المعتدى عليه، (تلميذ – تلميذ)، (معلم – تلميذ)، (تلميذ – معلم)، (معلم – معلم)، (تلميذ – مدرسة)، (الأهل – معلم)، وهذا المسار الأخير يعتبر أحد التطورات الخطيرة في حلقات العنف المدرسي.

إن هذه السلسلة لمسارات العنف المدرسي يمكن أن نطلق عليها اسم " العنف المدرسي الشامل "، وفيها يضطرب نظام المدرسة ككل، وتسوده حالة من الفوضى وعدم الاستقرار.

5. الأسرة والعنف المدرسي

قبل الولوج إلى صلب الموضوع يجدر بنا الإشارة إلى أن تناولنا للأسرة ومدى مسؤوليتها عن العنف المدرسي سيكون عبر ثلاثة محاور أساسية هي التالية :

- المحور الأول: الحالة الاقتصادية و الاجتماعية للأسرة.
- المحور الثاني: الحالة النفسية للأسرة.
- المحور الثالث: الأسرة كمؤسسة تنشيئية.

وسنوضح كيف أن كل محور من هذه المحاور الثلاثة يكون سببا في ظهور العنف داخل المدرسة سواء لدى التلميذ أو المعلم.

1.5 الحالة الاقتصادية و الاجتماعية للأسرة و العنف المدرسي

لعل هذا المحور يتصل اتصالا نسبيا بنظرية الإحباط – العدوان التي ترى أن العنف يظهر نتيجة عدم العدالة، وعدم المساواة داخل المجتمع، ويرتكز علماء هذه النظرية على الاحتياطات التي تؤكد ارتفاع معدلات العنف في المناطق المتخلفة من المدينة، وترى أن الفقر و نقص الفرص المتاحة في هذه المناطق تؤدي إلى شعور السكان بالإحباط، وأن السكان في هذه المناطق يريدون جميع السلع التي يريدها كل إنسان آخر، إلا أنهم لا يستطيعون الحصول عليها، ونتيجة لذلك يشعرون بالإحباط، و بالتالي يلجئون إلى العنف كطريقة من طرق التنفيس والتعبير(زايد، صفحة 189).

الظروف الاقتصادية

إن الظروف الاقتصادية التي تعيشها الأسرة و التي يتحملها الوالدين بالدرجة الأولى سواء في إطار العمل أو في الحياة الاجتماعية ككل، تؤدي إلى تكوين شحنات انفعالية تنفجر داخل الأسرة ، و البديهي أن ينعكس ذلك سلبا على الطفل (التلميذ)، فينقل شحناته بدوره إلى مدرسته و يفجرها هناك، في صورة من صور العنف التي عرضنا لها في موضوع سابق .

وبالنسبة للمعلم أو المدرس أو المربي، فالأمرلا يختلف كثيرا فإذا كانت الظروف الاقتصادية صعبة فالأكيد أن انعكاسات ذلك ستكون داخل المحيط المهني الذي هو المدرسة، خاصة إذا ما وضعنا في الاعتبار ضغط الحجم الساعي و الإرهاق الجسدي و عدد التلاميذ في الحجرة أو القسم.

و بالتالي فإن المستوى والحالة الاقتصادية للأسرة تؤثر على توازن الفرد سواء كان طفلا أم راشد (تلميذا أو معلما)، فقد يترك ضعف المستوى الاقتصادي آثاره السلبية عند عدم تلبية متطلبات الأسرة الأساسية، كتوفير المواد الغذائية الأولية و الألبسة و الأدوات المدرسية وما شابه ، ويجعل الفرد داخل الأسرة يعيش حالة من القلق واللاطمئنان تمتد آثارها إلى الحياة الاجتماعية، فالشعور بالحرمان يأتي من الحاجات التي لا تستطيع الأسرة توفيرها فالعجز الاقتصادي يؤدي إلى شعور التلميذ بالنقص و ينشر هذا

الشعور إلى أن تحتل المشكلات المالية والاجتماعية بؤرة اهتمامه، بالإضافة إلى ذلك فإن الحالة الاقتصادية المتدنية تؤدي إلى انسحاب التلميذ وحرمانه بالتالي من فرص الاشتراك في النشاطات المختلفة التي تهدف المدرسة إلى القيام بها كالفرق الرياضية و الرحلات(مدكور، 1975، صفحة 82)، و يؤدي هذا الحرمان إلى كثرة التوتر والقلق فيلجأ التلميذ إلى إتباع أسلوب القسوة في سلوكاته مع الآخرين سواء مع التلاميذ أو مع المدرسين، أو مع الهياكل المادية للمدرسة في حد ذاتها، فيظهر ذلك في انتقامه عن طريق السب، الشتم، التهكم، السخرية، الاعتداء، التحطيم ... الخ من مظاهر السلوك العنيف.

كما يظهر تأثير الحالة الاقتصادية في العنف المدرسي بشكل غير مباشر من خلال عمل الزوجة، ففي بعض الأحيان تضطر الزوجة إلى النزول إلى سوق العمل أما لعدم كفاية دخل الزوج أو لانعدامه أصلا، وفي هذا الحال فإنها تترك فراغا كبيرا جدا، خاصة إذا امتدت ساعات العمل لمدة طويلة، فيؤدي ذلك إلى خلق حالة من الحرمان العاطفي لدى الطفل – التلميذ– يتخذ بعض صور العنف داخل المدرسة، كالتدخين أو تعاطي المخدرات أو التحرش الجنسي ... زيادة على أن انشغال الأم يخلق ثغرة أو هوة في عملية التنشئة الأسرية(الخولي، 1999، صفحة 306)، وسنأتي لاحقا على تأثيرات هذا العنصر (التنشئة الأسرية) بشيء من التفصيل.

الظروف الاجتماعية

لا نبالغ إذا قلنا أن أصعب الحالات الاجتماعية التي تعانيها الأسرة هي حالات الطلاق و الترمل، و عجز الزوج (العائل) لسبب ما، إلا أن تأثير الطلاق على الأسرة تأثير جسيم سواء بالنسبة للوالدين أو الأبناء، فالطلاق في الأسرة يعني حالة عرج، مع ما يترتب ويستتبع هذه الحالة، و كثيرة هي الدراسات التي أثبتت وجود علاقة موجبة بين الطلاق و العنف، ففي دراسة مبكرة " لوليام جود " في 1956، ودراسة أخرى " للايفان ناي " عام 1957، أثبتتا أن تأثير الطلاق واضح و بليغ و بالأخص على الأبناء(الخولي، 1999، صفحة 278).

إن الطلاق يحدث حالة من الصراع الداخلي نتيجة انهيار الحياة الأسرية فعندما تتصدع الأسرة و ينفصل الأبوان ينبغي على الطفل أن يتخذ قرارا يتعذر عليه اتخاذه، كما أنه لا يرغب في اتخاذه وغالبا لا يكون معدا له(حسن، 1981، صفحة 302)، و في كثير من الحالات ينتقل الطفل من البيت المتصدع ليعيش غريبا مع أبيه أو أمه، و في هذه الحال ينبغي عليه التكيف مع زوجة الأب، أو زوج الأم، ويتحتم على الطفل الذي هو في نفس الوقت تلميذ في مدرسة أن ينتقل بين الأبوين المطلقين، وأن يتكيف مع بيئتين مختلفتين، وقد ينجح في ذلك وقد يفشل، وفشله هذا يأخذ طابع السلوك العنيف داخل المدرسة .

إن جميع المواقف السابقة التي يعيشها الطفل تؤدي إلى مشكلة كبت، حيث يتعرض إلى ضغوط تقع على عاداته اليومية الاجتماعية الأخرى ، فينبغي عليه تجنب الإشارة أو الحديث عن الوالد الآخر، كما

ينبغي عليه عدم الحديث عن ذكرياته الماضية، زيادة على مشكلة طريقة مخاطبته للوالد الجديد (زوج الأم) أوالصلة التي يدعيها أمام زملاء الدراسة(حسن، 1981، الصفحات 304-305)، والترجمة المباشرة والأقرب لهذا الكبت هو الاتجاه نحو العنف بشتى أشكاله ومساراته.

هكذا نرى أن العنف يحضره الطفل (التلميذ) أو لمعلم من البيت بسبب الظروف أو الحالة الاقتصادية والاجتماعية للأسرة، ولا يجد له تصريفا إلا بإفراغه إما على من هم تحت سلطته.

إن كان معلما و يدفعهم بذلك إلى تبني الأسلوب العنيف في حل جميع المشاكل، و إما على الزملاء والأقران والمؤسسة ذاتها إن كان تلميذا، أو ربما على نفسه، أو على المعلم ذاته إن كان في مرحلة عصرية تسمح له بذلك.

2.5 الحالة النفسية للأسرة

مما لاشك فيه أن الأسرة هي المكان الآمن للأفراد، حيث توفر لهم الأمن والحب، ويفترض بها ذلك، لكن بعض الأسر لا تكون كذلك في بعض الأحيان، فيتحول جوها الأسري إلى ساحة لكل مظاهر الاستقرار النفسي، ما يعبر عنه بالاستقرار الانفعالي.

وفي حقيقة الأمر ترتبط الحالة النفسية بالحالتين الاجتماعية والاقتصادية ، فهي كثير في من الأحيان انعكاس مباشر لهما، إلا أننا نتناولها منفصلة بنية التوضيح و التدقيق، لاستجلاء كيف يكون الجو النفسي السائد داخل الأسرة سببا في ظهور العنف المدرسيعلى أن الحالة النفسية ترتبط كذلك بعوامل الصحية الجسدية والنفسية وما يدخل ضمنهما من عوامل التوازن الانفعالي للوسط الأسري ككل حتى لا نقول للوالدين فقط.

إن الأسر التي يسود فيها جو التزمت الذي تغيب فيه روح الدعابة و المرح و السرور تكون وسطا مثاليا لسيادة مشاعر الإحباط والإحراج و الإهمال فيصبح المنتمي إلى هذه الأسرة منطويا.

ومن الانفعالات السلبية التي تخلق جوا نفسيا مشحونا و تعزز من احتمالات ظهور العنف بين أفراد الأسرة سيطرة روح الكراهية، ويرجع مرد روح الكراهية هذه إلى أن الأب أو الأم لا يحب أحدهما الآخر بدرجة كافية أو ينعدم بينهما الحب تماما ولا يرغمهما على الارتباط برباط الزوجية إلا الأطفال.

ومن الأجواء الانفعالية السلبية التي تسود الأسرة و التي تكون سببا بطريقة أو بأخرى في ظهور السلوك العنيف بين أفراد الأسرة، الشكوى المستمرة والتذمر، مما ينفر الأبناء من جو المنزل فيجعلهم يتحينون الفرصة لمغادرته(جابر، 2001، صفحة 52)وهذا يخلق انفعالات في غاية السوء.

ولما كانت الأسرة "وحدة ديناميكية" ذات وظيفة محددة وهي نمو الطفل نموا اجتماعيا و سلوكيا عن طريق التفاعل العائلي الذي يقوم بدور هام في تكوين شخصية الطفل و توجيه سلوكه(غالب، 1991، صفحة 09).

فإن هذه الوحدة تستدعي سلامة البناء الأسري ككل اجتماعيا واقتصاديا، نفسيا وجسميا، وكذلك فإن الحالة الجسمية والعقلية للوالدين تخلق جوا نفسيا خاصا، فإصابة أحد الوالدين أو كليهما بمرض أو إعاقة جسمية أو عقلية يؤثر سلبا على التربية السليمة للأبناء، فالأب المعاق مثلا قد يلجأ في بعض الحالات إلى استعمال القسوة أو التهديد في تنشئة الأولاد كوسيلة لإثبات ذاته وقدرته على فرض النظام داخل المنزل(جابر، 2001، صفحة 55)، بينما نجد أن النمط التربوي للآباء الذين يعانون من مرض عقلي غالبا ما يتسم بالإهمال أو التذبذب وعدم الاستقرار فقد أثبتت الدراسات الإكلينيكية الحديثة إن النضج الانفعالي للوالدين أخطر العوامل في تنشئة الأطفال(راجح، 1994، صفحة 626)، هكذا فإن الجو النفسي للأسرة يضغط على الفرد داخل الأسرة و يدفعه إلى القيام بسلوكات عنيفة في محيطه، وبطبيعة الحال سيكون الطفل الذي هو – التلميذ – الأشد عرضة و تأثرا.

3.5 أسلوب التنشئة الأسرية

يعد أسلوب التنشئة المتبع داخل الأسرة من أهم و أخطر العوامل في ظهور السلوك العنيف، إذ التربية العائلية المسئولة بشكل رئيسي عن شخصية الفرد وطرق تفكيره وتصرفاته وأعماله المنحرفة كالعنف أو غيره، وتعرف التنشئة بشكل عام بأنها " تحويل الكائن البيولوجي إلى شخص اجتماعي عبر جماعات اجتماعية متنوعة في نوعها لكنها مترابطة في وظائفها(معن، 2004، صفحة 28).

وتعرف التنشئة كذلك على أنها عملية لتطوير المهارات والأساليب التي يحتاجها الفرد لتحقيق أهدافه وطموحاته في الحياة السليمة في مجتمعه، فهي دائما تعمل بصورة مستمرة على تثبيت النماذج السلوكية التي تعتبر أساسية للحفاظ على الحضارة و المجتمع(العزوي، 1992، صفحة 235)، بينما تعرف التنشئة الأسرية على وجه التحديد بأنها عملية تفاعل بين مجموعة من العوامل التي تؤدي محصلة تفاعلها إلى انبثاق نموذج سلوكي معين(مصباح، 2003، صفحة 87).

ولعل من بين أهم نظريات العنف نظرية : **تناقل الخبرات بين الأجيال**، وتقوم هذه النظرية على فرض أساسي، وهو أن الأفراد رأوا و عاشوا تجربة العنف في منازلهم حينما كانوا أطفالا يكونوا أكثر ميلا إلى استخدام العنف(غريب، 2001، صفحة 354).

وسنتناول فيما يلي أهم الأساليب التنشيئية ذات الصلة و العلاقة بالعنف، وبالأحرى بظهور السلوك العنيف عند طفل المدرسة أوالتلميذ، وحتى المعلم عبر مرحلة الطفولة وترسباتها باعتبارها هي التي شكلت شخصيته الآتية أو الحالية / مع الاحتفاظ بهامش من الاختلاف بين تأثير هذا الأسلوب أو ذاك، وقبل الخوض في هذه الأساليب يجدر بنا التوضيح أننا نستثني الأسر التي تطبق أيا من هذه الأساليب بشكل عارض، بل إننا نقتصر على الأسر التي تطبق وتعتمد واحدا من هذه الأساليب أو أكثر اعتمادا شبه كلي في تنشئتها لأفرادها.

أسلوب العقاب

يتسع هذا الأسلوب ليشمل الجانبين ، العقاب الجسدي و العقاب المعنوي، ويتخذ العقاب الجسدي أشكالا عديدة كالصفع أو الخنق أوالكي أو الضرب بالعصا ...إلخ، و ما يلاحظ أن هذه الوسيلة التنشيئية تعرف استعمالا صريحا و مباشرا للعنف ويشتد تأثيرها إذا كانت مصاحبة بآثار كالجروح أو الكسور، أين يربط الطفل بين الأسلوب العنيف وحل المشاكل، ويعتمده أسلوبا ينقله معه إلى المدرسة، وما يقال عن العقاب الجسدي ينسحب على العقاب المعنوي – من حيث درجة التأثير – إن لم يكن أكثر خطورة، و ذلك قياسا إلى درجة الأذى النفسي الذي يسببه، ومن أمثلة هذا العقاب، العزلة، السب والشتم الإهانة، السخرية، المنع من اللعب ... إلخ.

ويعتبر أسلوب العقاب الأسلوب الأكثر شيوعا بين أسرنا، لأن الكثير منها يربط بين استخدام العنف مع الأطفال ودرجة حبهم لهم، فالقسوة والعنف مع الطفل في نظرهم، ما هي إلا محبة له وخوف عليه وعلى مستقبله، و يبلغ هذا المنحنى درجة التطرف عندما يعتبر أن الأكثر حبا لأطفاله هو أشد عنفا معهم، وإذا تعلم الطفل هذه القيمة فإنه سيتمثلها ويطبقها في محيطه، ومن أبرز عناصر محيطه المدرسة التي تحتل حيزا معتبرا من المساحة الزمنية للتلميذ.

أسلوب اللامبالاة

قد يبدو و للوهلة الأولى أن هذا الأسلوب غير ذي صلة بالعنف لكنه في حقيقة الأمر يتصل به اتصالا وثيقا، فأسلوب اللامبالاة في التنشئة الأسرية الذي يكون في بعض الأحيان تعبيرا عن الرفض وعدم الاكتراث من قبل أحد الوالدين أو كليهما هو في حقيقة الأمر هروب من تحمل المسؤولية اتجاه أفراد الأسرة، أو الشعور بالعجز، وعدم المقدرة على مواجهة صعوبات الرعاية والتوجيه والتربية، وأحيانا يكون هذا الأسلوب طبعا وجبلة في الوالدين فنجدهما يغضان الطرف عن تصرفات الأبناء خاصة إذا كانت لا تعرقل في ظاهرها سير الحياة الطبيعية، وهؤلاء الآباء لا يلقون بالا عما يصنع وما يسمع وما يشاهده أبناؤهم، وما يمارسونه طوال اليوم، ولقد أصبح أثر هذا الأسلوب أكثر خطورة، وأصبحت آثاره أكثر تجليا ووضوحا في ظل التغيرات التكنولوجية الكبيرة التي طغت على الحياة بصفة عامة، ولم تستثن فئة عمرية فأصبح الأطفال فريسة سهلة لها، فالأفلام العنيفة مثلا لم تعد حكرا على قناة إعلامية بعينها، بل إن الفضائيات أصبحت تعج بها الألعاب الإلكترونية التي تحمل مئات بل آلاف الرسائل العنيفة لا حصر لها، ولقد أثبتت الحوادث التي تطالعنا بها مختلف وسائل الإعلام كيف أن بعض الجرائم التي حدثت داخل المدارس كانت تجسيدا حرفيا لبعض الأفلام أو الألعاب، و بالتالي فإن أسلوب اللامبالاة في التعامل مع مخاضات التغيرات التكنولوجية و خاصة التلفزيون و الالكترونيات، وعدم تقنيتها بضوابط من شأنه أن يخلق لدى الطفل شحنات عنيفة يضطر إلى تعريفها في مدرسته، وما يقال عن الأفلام و الألعاب ينسحب على باقي مناحي

حياة الطفل كالصداقة و جماعة الرفاق، فهذا النوع من الآباء لا يدخل في دائرة اهتمامه من يصادق ابنه، وما يشاهد، و بما يلعب ... إلخ وجميع هذه المناحي لا تبرأ من السلوك ..... الذي يزداد احتمال تقمصه من طرف الطفل ثم تصديره إلى وسطه المدرسي ليأخذ شكله النهائي في صورة العنف المدرسي.

أسلوب التعصب

قلنا في موضوع سابق أن التنشئة الأسرية هي عملية تفاعل بين مجموعة من الفواعل، و هؤلاء الفواعل هم الآباء من جهة و الأبناء من جهة أخرى، و أي قطيعة في عملية التفاعل هذه من شأنه أن يخلق تشوها تنشيئيا، يعزز من احتمالات ظهور السلوك العنيف الذي يتجسد عند التلاميذ في العنف المدرسي في أشكاله المختلفة، أما مرد هذا التشوه فهو أسلوب التعصب المتبع من طرف الآباء داخل الأسرة، والذي ينشأ بدوره عن تضاد طرائق ومسارات التفكير بين الصغار والكبار، حيث يذكر "راسل أكوف" " R.Ackoff" في كتابه إعادة تصميم المستقبل أن الشباب يكونون غير راضين عن القضايا و الموضوعات التي يثيرها الكبار، و يريدون أن يفعلوا شيئا ... ، فجيل الكبار يشغل دائما بالمحافظة على ما هو حسن في مجريات الأمور الراهنة، و يقلل من أهمية ما هو سيئ فيه، بينما ينشغل جيل الشباب بتغيير ما هو سيء من الأوضاع الراهنة و يميلون إلى التهوين في ما هو حسن فيها(رشوان، 2006، صفحة 96)، و هذا الوضع يتيح حالة من القطيعة بين الآباء والأبناء، وبطبيعة الحال يميل الآباء إلى فرض آرائهم بناءا على أنهم الأكبر سنا والأكثر خبرة في الحياة، ويتعصبون في رأيهم و يقصون بذلك أبنائهم من المشاركة في صنع القرار العائلي.

إن الأسرة التي تكرس أسلوب التعصب و تعتمده أسلوبا تنشيئيا بسبب عدم وعي الآباء بالفروق التفكيرية بين الجيلين (جيل الآباء و جيل الأبناء) ينعدم فيها الحوار، ويؤثر ذلك سلبا على سلوكات أفرادها، فلا تجعل منهم أشخاصا أسوياء قادرين على مواجهة الآخرين إلا بالعنف والعصبية.

كما يتكرس أسلوب التعصب كذلك نتيجة عدم اشتراك الأبوين و الأبناء بنفس القيم، أي وجود هوة أو فجوة بينهما بسبب اختلاف جيلهما، فكل جيل يحمل قيما تحمل المرحلة العمرية التي عاشها تكون مختلفة عن قيم الجيل الذي يسبقه، و هي حالة طبيعية في حساب التطور، إلا أن بعض الآباء يلزمون أبنائهم بالامتثال و طاعة قيمهم و معاييرهم التي جبلوا عليها دون مراعاة أن الزمن الذي يعيشونه الآن مختلف في معاييره وقيمه عن الزمن الذي اكتسبوا فيه معايير وقيم لا تشبه ما يعيشونه الآن فينتج عن ذلك تقاطع وعدم تفاهم بين الجيلين بسبب إجبار الأبوين في تنشئة أبنائهم تنشئة لا تعكس روح العصر(معن، 2004، صفحة 89)، وهذا من شأنه أن يخلق حالة من الإحباط يترجمها الطفل في شكل سلوك عنيف داخل المدرسة هو ما يصطلح عليه بالعنف المدرسي.

أسلوب الخطاب العنيف

معلوم أن اللغة أو الخطاب السائد داخل الأسرة يشكل جزء لا يتجزأ من عملية التنشئة الأسرية ككل، وكما هو معلوم كذلك فإن وقع الكلمة كبير جدا على نفسية الطفل، إذ أن المفردة تحمل في داخلها قيمة معينة فالطفل لا يتعلم الكلمات جوفاء مجردة من أي معنى، بل يربطها دوما بالمواقف، المعاني والسلوكات، فالخطاب الذي تتبناه الأسرة واللغة التي تستعملها في معاملتها اليومية إن كانت عنيفة فالأكيد أنها تغرس في نفس الطفل، والأمثلة على ذلك من واقعنا كثيرة من مثل : العصا لمن عصا، ومن لا يحس سوف تجعله العصا يحس، أو تلك التي تشجع على العنف مثل المثل الدارج : الفحل يجيب حقه بذراعه، والدبوس سقامة العوجة، أو تلك التي تشجع على الانتقام في مرحلة متقدمة من العمر مثل كلمة " ببيه " أي أضربه، و"ماتبكيش هانا ضربناه" أي "لا تبكي لقد انتقمنا لك منه"، و تزداد خطورة هذا الخطاب إذا ما علمنا أن الطفل يكون أكثر قابلية لتبني أفكار الأسرة وأسلوبها الخطابي خاصة في مرحلة الطفولة المتوسطة أكثر من أي مصدر آخر.

6. التواصل بين الأسرة و المدرسة

إن أولى خطوات الحل تكمن في الإلمام بالوضع العام للأسرة، و ذلك لا يأتي إلا عبر التواصل السليم و الفعال بين الأسرة و المدرسة، و تدعيم كل أساليب الحوار، و على رأس تلك الأساليب جميعا المرشد النفسي والاجتماعي و استحداث خلايا الإصغاء و الإرشاد، و مدها بين أذرع المنظومة المدرسية (تلميذ – معلم – إدارة) لأن العنف المدرسي لا يقتصر على التلميذ فقط، إذ أن المعلم قبل أن يكون معلما هو أب أوعضو في أسرة، و لذلك يستوجب التركيز على تجاوز الحاجز النفسي الذي يعتبر المرشد النفسي و الاجتماعي أمرا يخص التلميذ وحده، فالمعلم في كثير من الأحيان يحتاج إلى تكفل نفسي من شأنه أن يخفف من حدة الضغط الأسري والمهني عليه، إذ أن المعلم المهزوم والمقهور منذ صغره، لن يربي بدوره سوى أجيالا محبطة ومهزومة والأخطر من ذلك عنيفة .

كما يمكن أن نقترح بطاقة لكل تلميذ تسمى بطاقة الحالة الأسرية يعدها المرشد الاجتماعي و النفسي يتوخى فيها الشفافية و السرية، إلى جانب تعزيز قنوات التواصل الدائمة بين الأسرة والمدرسة، أي بين أولياء الأمور والمدرسة.

في الأخير يبقى أن نشير إلى أن مسئولية الأسرة في العنف المدرسي مسئولية كبيرة وخطيرة في نفس الوقت، إلا أن هذه الخطورة لا تعني بأي حال انتقاء العلاقة العكسية، إذ في كثير من الأحيان تكون الأسرة سوية و متزنة، ويحدث أن ينقل الطفل العنف من مدرسته إلى بيئته الأسرية.

7. قائمة المراجع

- إبراهيم مدكور. (1975). *معجم العلوم الاجتماعية*. القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.
- أحمد زايد. (بلا تاريخ). *الأسرة و الطفولة – دراسات اجتماعية أنثروبولوجية*. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

- أحمد عزت راجح. (1994). *أصول علم النفس*. القاهرة: دار المعارف.
- حسين عبد الحميد رشوان. (2006). *الثقافة – دراسة في علم الاجتماع الثقافي*. الإسكندرية: مؤسسة الشباب.
- خليل عمر معن. (2004). *التنشئة الاجتماعية*. عمان: دار الشروق.
- خليل وديع شكور. (1997). *الجريمة و العنف*. بيروت: الدار العربية للعلوم.
- سناء الخولي. (1999). *الأسرة و الحياة العائلية*. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- سيد أحمد غريب. (2001). *علم اجتماع الأسرة*. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- عامر مصباح. (2003). *التنشئة الاجتماعية و السلوك الانحرافي لتلميذ المدرسة الثانوية*. الجزائر: دار الأمة.
- عبد الرحمان العيسوي. (2004). *العنف الأسري – دراسة نفسية – موسوعة علم النفس*. بيروت: دار الراتب.
- فهمي العزوي. (1992). *الثقافة و التسيير*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- محمود حسن. (1981). *الأسرة و مشكلاتها*. بيروت: دار النهضة العربية.
- مصطفى غالب. (1991). *سيكولوجية الطفولة و المراهقة* (الإصدار 2). بيروت: منشورات مكتبة الهلال.
- نصر الدين جابر. (2001). الاستقرار الانفعالي داخل الأسرة الجزائرية و أثره على تنشئة الأبناء. *مجلة العلوم الإنسانية*، 45-69.